والحيوان يفعل به الافعال الاختيارية ولا مع الفعل وهي
كما فسرت استطاعة خاصة بالمعنى الاول فلا يرد ما قيل ان
الاستطاعة التي بها يتمكن المكلفون من فعل العبادة مشروطة
في الكل فكيف خص الحج بها قال الطيبي فان قلت كيف خص
الحج بالاستطاعة دون سائر الاركان الاسلامية مع ان
الاستطاعة التي يتمكن المكلفون من فعل الطاعة
مشروطة في الكل اجيب بان المعنى بهذه الاستطاعة
الزاد والراحلة وكان طائفة لا يعدونها ويتقلون على
الحاج فنهوا عن ذلك او علم الله تعالى ان ناسا في اخر الزمان
يفعلون ذلك فصرح تسهيلا على العباد ومع ذلك ترى
كثيرا من الناس لا يرفعون لهذا النص الجلي رأسا ويلقون
انفسهم بايديهم الى التهلكة اقول ولعل في هذا حكمة وهي
ان تكون حجة على الاغنياء التاركين على الحج راسا
مع ان الله تعالى اعطاهم مالا واسبابا وايراد الافعال
المضارعة لافادة الاستمرار التجددي لكل من الاركان
الاسلامية ففي التوحيد المطلوب الاستمرار الدائمي مدة
الحيوة وفي الصلوة دونه ثم في الصوم والزكاة دونها وقدم
الصوم لتعلقه بجميع المكلفين واخر ما وجب في العمر مرة
في فتح الباري فان قيل السؤال عام لانه سئل عن ماهية
الاسلام والجواب خاص لقوله ان تعبد او تشهد وكذا قال
في الايمان ان تؤمن وفي الاحسان ان تعبد فالجواب ان ذلك
للنكتة الفرق بين المصدر وان والفعل لان ان والفعل يدل
على الاستقبال والمصدر لا يدل على زمان على ان في رواية قال
شهادة ان لا اله الا الله انتهى وقيل الاولى في الجواب ان
يقال القصد التعليم وهو انما يتعلق بالامور المستقبلة فلذا
عدل عن المصدر المناسب للسؤال الى ما يدل على الاستقبال
وينحو بالبال والله اعلم بحقيقة الحال ان العدول عن المصدر
المفيد للعلم الى المضارع المقتضي للعمل ايماء الى انه لا يكفي مجرد
المعرفة من غير ان يخرج من القوة الى الفعل ونحو هذا

هذا العدول يعلم بلوغ بلاغته الى اعلى الغايات واعلى
النهايات ووقع في رواية حذف الحج وفي اخرى حذف الصوم
وفي اخرى الاقتصار على الشهادتين وفي اخرى على الصلوة
والزكوة ولا تخالف لان بعض الرواة ضبط ما لم يضبط غيره
ذهولا او نسيانا كذا قيل او يقال للكل وجهة فحذف الحج
لان وجوبه نادر وفي العمر مرة وحذف الصوم اكتفاء
بذكر الصلوة فان كلا عبادة بدنية والاقتصار على الشهادتين
لانهما اساس الاسلام وعلى الصلوة والزكوة لانهما عمدة
العبادة البدنية والمالية والمقصود ظاهر الطاعة والانقياد
والعبادة الاستيفاء افرادها وان كانت الخمس هي معظم اركانها
فالمراد بعضها مثلا هو التنبيه على بقيتها ولذا ورد في رواية
نعم وتغتسل من الجنابة وتتم الوضوء فيحمل الاختلاف
اللفظي على التحديث المعنوي ثم اعلم ان لكل من تلك الاركان
ظاهرا تبين احكامه في الكتب الفقهية وباطنا من حقايق
واسرار ذكرها ارباب القلوب الامناء الاسرار الغيوب
فنحن نذكر نبذة منها اما التوحيد فهو ظهور فناء الخلق
بتشعشع انوار الحق وله مراتب كما ذكره ذووا المناقب
الاولى والتوحيد النظري ان علم بالاستدلال او التقليد
ان اعتقد بمجرد تصديق المخبر الصادق وسلم القلب من
الشبهة والحيرة والريبة وهو ان يعتقد ان الله متفرد
بوصف الالوهية متوحد باستحقاق العبودية به يحقن
الدماء والاولى ويتخلص من الشرك الجلي في الاحوال الثانية
التوحيد العلمي وهو ان يصير العبد بخروجه من غشاوة صفاته
وخلاصه من سجن ظلمات ذاته وانسلاخه عن لباس الاختيار
حيران في انوار عظمة الجبار ولهان تحت سبحات سطوات
الانوار فيعرف ان الموجد المحقق والمؤثر المطلق هو الله
وان كل ذات فرع من نور ذاته وكل صفة من علم وقدرة وارادة
وسمع وبصر عكس من انوار صفاته واثر من اثار افعاله ومنشأ
نور المراتبة وهو دون المرتبة الحالية لكن مراجمن ثم

اعلم ان لكل من تلك الاركان ظاهرا وباطنا وحقايق واسرار فنحن نذكر نبذة منها

٥٠

مطلب التوحيد على لسان اهل التحقيق